



فقه الابتلاء

خطب الجمعة

2019-02-01

عمان

مسجد أحد

الخطبة الأولى

ياربنا لك الحمد ملء السماوات والأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، عني كل فقير، وعز كل ذليل، وقوة كل ضعيف، ومفزع كل ملهوف، فكيف نفتقر في غناك، وكيف نضل في هداك، وكيف تذل في عزك، وكيف نضام في سلطانك، وكيف نخشى غيرك والأمر كله إليك، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله، أرسلته رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً، ليخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن حول الشهوات إلى جئات القربات، فجزاه الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواج سيدنا محمد وعلى ذرية سيدنا محمد وسلم تسليماً كثيراً، وبعد عباد الله أوصيكم ونفسي بتقوى الله وأحبتكم على طاعته (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ).

مفهوم الابتلاء



الابتلاء لغةً هو الامتحان أو الاختبار

وبعد فيا أيها الأخوة الكرام: موضوعنا اليوم بعنوان فقه الابتلاء، أيها الكرام بدايةً ما معنى الابتلاء؟ الابتلاء لغةً هو الامتحان أو الاختبار، أما اصطلاحاً فالابتلاء هو التكليف بأمر شاقٍ صعبٍ لتظهر بذلك حقيقة الإنسان، إن كان خيراً فخير أو شراً نسال الله العافية فبشر، هذا هو الابتلاء لغةً وشرعاً.

الأمر الثاني: هل الابتلاء خيار يختاره الإنسان أم هو سنة من سنن الله؟ الجواب: الابتلاء سنة، بمعنى أنه لن نجد إنساناً من آدم إلى يوم القيامة دون أن يُبتلى، هذه سنة من سنن الله،

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا

(سورة الأحزاب: الآية 62)



التمكين يأتي بعد الابتلاء

ليس خياراً أن يُبتلى أو لا يُبتلى، الخيار أن نصير أو لا نصير، أن نشكر أو لا نشكر، هنا نحن مخبرون لكن أن يُبتلى الإنسان أو لا يُبتلى فهذا ليس خياراً، سئل الإمام الشافعي: أندعو الله بالتمكين أم بالابتلاء؟ قال: لن تُمكن قبل أن تتبلى، ادع بما شئت، التمكين يأتي بعد الابتلاء. إذاً أيها الكرام: الابتلاء سنة وليس خياراً وهذه ثلاث آيات تؤكد هذا المعنى، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ

(سورة العنكبوت: الآية 2)

الثانية:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا

(سورة الملك: الآية 2)

الثالثة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ

إذاً الابتلاء سنُّه من سنن الله في الأرض.

مادة الابتلاء

الأمر الثالث: ما مادة الابتلاء؟ لو قلت لك عندك اختبارٌ غداً في الجامعة ستسألني ما مادة الاختبار؟ أين المقرر؟ مادة الابتلاء هي الخير والشر معاً، يُبتلى الإنسان بالخير ويُبتلى بالشر، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَتُبْلَوْنَ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ

(سورة الأنبياء: الآية 35)



الفتن والابتلاءات لا تعد ولا تحصى

فالامتحان له مادتان رئيسيتان تندرج تحتها مئات بل آلاف المفردات، مادة الخير ومادة الشر، بمعنى أنك الله مالا هذه مادة الابتلاء عندك هل تنفقه في الصالحات والخيرات والقربات أم ينفقه غيرك في المعاصي والآثام والكبر والعلو في الأرض بغير حق؟، الآن منع عنك المال فافتقرت شيئاً هل تصبر وتتخذ الأسباب وتسعى السعي الدؤوب ثم تصبر على ما قدر الله فلا تنطق بكلمة فيها سوء ظن بالله فتنتج في الاختبار؟، أم غيرك يصبح الفقر بالنسبة له منسياً فينسى طاعة الله عز وجل ويترك الصلوات ويترك القربات ويتكلم بكلام فيه إساءة وسوء ظن بالله تعالى، أنك الله صحت هل استخدمتها في الطاعة؟، مرض الإنسان هل صبر على المرض؟، أنك الله عز وجل منصفاً فهل أحققت به حقاً وأبطلت به باطلاً، أم استخدمته للعلو في الأرض بغير حق؟، الفتن والابتلاءات أيها الأخوة لا تعد ولا تحصى ولو رحمت أعددتها لما كفى الوقت لها، كل شيء في الحياة هو ابتلاء، عندما ترى قوة الباطل والباطل ليس قوياً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا

(سورة الإسراء: الآية 81)

ولكن أعني عندما ترى قوة أهل الباطل وهم على باطلهم وترى ضعف أهل الإيمان وهم على إيمانهم فهذا ابتلاء لا يصمد أمامه إلا الخُلص من عباد الله تعالى، إن الله يقوي أعداءه حتى يقول ضعيف الإيمان أين الله؟، ثم إنه جل جلاله يظهر آياته في الانتقام للمظلومين وإحقاق الحق وإبطال الباطل حتى يقول الملحد لا إله إلا الله، وهذه سنن الله في التاريخ. إذاً أيها الكرام: كل ما تجده في الحياة وكل دقيقة في الحياة هي ابتلاء بالنسبة للإنسان، هذه مادة الامتحان.

حقائق مهمة حول موضوع الابتلاء

الآن أيها الأخوة اسمحوا لي ببعض الحقائق المهمة التي تجلّي موضوع الابتلاء والامتحان.

الابتلاء ليس عذاباً ولا تعذيباً



أذ عيشنا بالصبر

الحقيقة الأولى: الابتلاء ليس عذاباً ولا تعذيباً من الله عز وجل لعباده، لا ينبغي أن نفهم الابتلاء على أن الله يريد أن يعذب عباده، حاشاه جل جلاله، والله غني عن تعذيب عباده، لكنه كما تصف النار الذهب لتخلصه من الشوائب والعناصر الرخيصة العالقة به كذلك تصف الامتحانات الإنسان لتخلصه من أفات النفوس والشهوات، فيخلص لجنة النعيم، يعني تماماً لو أن طالباً في الجامعة عنده امتحان لو فهم أن الجامعة تريد أن تعذبه بهذا الامتحان فهو لم يفقه حقيقة الجامعة ولا حقيقة الامتحان أبداً، الامتحان ليس تعذيباً هو فقط من أجل أن تؤهل أيها الإنسان أيها الطالب لنيل الشهادة والمكانة ولتعمل فيما بعد عملاً ترتزق منه، هذا الامتحان لو أن طالباً فهمه على أن الجامعة تريد أن تعذب الطلاب فهو لم يفقه حقيقة الامتحان، إذاً الابتلاء ليس عذاباً، الله تعالى يعذب الكافرين، يعذب المنافقين في الدنيا والآخرة، لكن لو أن إنساناً مؤمناً ابتلي فصبر لكان في الصبر أشد قرباً من الله عز وجل ، يقول عمر رضي الله عنه وأرضاه: "وجدنا أذ عيشنا بالصبر"، كان يجد برد العيش وهو صابر، يقول: يارب أنا راض بما قسمت لي، الصبر مكانة عظيمة.

أيها الأخوة الكرام: الله تعالى عندما يبتلي الإنسان بالخير أو بالشر لا يظن الإنسان أن هذا إكرام أو تلك إهانة، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْلَاتِنِ

(سورة الفجر: الآية 15-16)



ليس العطاء إكراماً ولا المنع إهانةً

(فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ أَي امتحنه كما قلنا (إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ) هو يقول ذلك هو يظن أن الله بكرمه وهذا من جهله، (وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْلَاتِنِ) يفهم العطاء على أنه إكرام ولو كان عاصياً هذا المقصود، ويفهم المنع على أنه إهانة ولو كان طائعاً، جدلاً، قال تعالى: (كلّ) أي ليس العطاء إكراماً ولا المنع إهانةً، كلاهما ابتلاء، العطاء ابتلاء والمنع ابتلاء.

إذاً أيها الأخوة الكرام: الابتلاء لا يهدف إلى تعذيب الإنسان، حاشاه ربنا، لكنه يهدف فقط إلى الفرز والتمحيص.

الابتلاء يكفر الخطايا والذنوب ويرفع الدرجات



رفع الدرجات هو هدف الابتلاء

الحقيقة الثانية: الابتلاء يكفر الخطايا والذنوب ويرفع الدرجات، إنسانٌ عنده بعض الآثام والذنوب في خلوات النفس وجلواتها، يُبتلى بالمال فيشكر، يُبتلى بجمع المال فيصبر، فيكفر الله عنه خطاياهم وذنوبهم، حتى يلقى الله كيوم ولدته أمه، أو إنسانٌ صالحٌ له عند الله درجة فابتلاه الله عز وجل فصبر أو شكر فرفع الله درجته عنده، هذا هو هدف الابتلاء. اسمعوا إلى هذا الحديث الذي رواه الإمام البخاري:

{ وعن أبي عبد الله خباب بن الأرت قال: شكوتنا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، فَقُلْنَا: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلَا تَدْعُو لَنَا؟ فَقَالَ: قَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ يُؤَخِّدُ الرَّجُلُ فَيُحَقِّرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيَجْعَلُ فِيهَا، ثُمَّ يُؤْتِي بِالْمِنْشَارِ فَيُوضِعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نَضْفَيْنِ، وَيُمَشِّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، مَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيُتَمَنَّ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّأْيِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ وَالذَّنْبَ عَلَى عَتَمِهِ، وَلِكَيْتُمْ تَسْتَعْجِلُونَ }

(رواه البخاري)

عن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: أتيتُ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو متوسدٌ بُرْدَةً، فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ وَقَدْ لَقِينَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ شِدَّةً، اشْتَدَّ عَلَيْنَا أذى الْمُشْرِكِينَ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟ أَلَا تَدْعُو لَنَا؟ فَدَ تَطْنُونَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ أَمَامَ الْكَعْبَةِ رَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ يَا رَبِّ انصُرْ عَبْدَكَ، يَا رَبِّ ودعنا لهم، لم يفعل، لماذا لم يفعل؟ أظنه أبى هو وأمي، قد لمح في قول هذا الرجل شيئاً من القنوط، شيئاً من الضعف، فأراد أن يؤدب فيه ذلك، فما دعا، لكن قام محمراً وجهه صلى الله عليه وسلم، فقال: "لَقَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ لِيُمَشِّطَ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ، مَا دُونَ عِظَامِهِ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ، مَا تَضْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ وَلَيُتَمَنَّ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّأْيِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، وَلِكَيْتُمْ تَسْتَعْجِلُونَ".



وعد الله أت

وجهه إلى أن هذه هي السنّة في الحياة، وهي أن تُبتلى فعليك أن تصبر وهذا لا يمنع من الدعاء، لكن إياك أن تقنط، لأنك في طريق هيات نفسك أنك في امتحان في هذه السنوات التي ستعيشها فلا تستعجل فإن وعد الله أت.

أيها الكرام: أيضاً في الحديث الصحيح:

{ أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأُمَّتُ لِلْأُمَّتِ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ ضَلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةً ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرُحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبِيدِ حَتَّى يَبْتَرِكَ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ، وَمَا عَلَيْهِ حَاطِيئَةٌ }

(صحيح)

هذه هي أهداف الابتلاء الكبرى.

التمحيص والفرز

الحقيقة الثالثة: التمهيص والفرز، الابتلاء يمحص، يفرز،

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ

(سورة آل عمران: الآية 141)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۗ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ

(سورة العنكبوت: الآية 3)

إذاً من أهداف الابتلاء الكبرى أن يمحص الله تعالى المؤمنين وأن يفرز المؤمن عن المنافق.

بيان عاقبة الظالمين

الحقيقة الرابعة: من خلال الفتن والابتلاءات يُظهر الله للناس آياته ويبين لعباده عاقبة الظلم والظالمين ويستخلف من بعدهم عباداً صالحين، أين فرعون، أين قارون، أين هامان؟ أين من دّخوا الدنيا بسطوتهم؟ أين من كانوا ينجتون من الجبال بيوتاً؟ أين الذين كانوا يقولون مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۗ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً

(سورة فصلت: الآية 15)



بيان عاقبة الظالمين

لم يكن فوق عادٍ في زمنهم إلا الله، فقالوا: (مَنْ أَشَدُّ مَنَا قُوَّةً) فخطبهم الله تعالى: (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً) أين هؤلاء؟ وأين التابعون لهم؟ وأين من كانوا ذا عزٍّ وسلطان؟، الله تعالى من خلال الامتحان بين عاقبة الظالمين ويستخلف عباده المؤمنين.

الابتلاء يجعلك في شوقٍ للقاء الله

الحقيقة الأخيرة في الابتلاء، الابتلاء يجعلك في شوقٍ للقاء الله، والله أيها الأحياء لو استقرت الدنيا للمؤمن ودامت على حال واحدة وكلها نعيمٌ وابتلاء بنوع واحد وهو ابتلاء النعيم ولم يمتحن ولم يتحمل المشاق لما اشتاق للقاء ربه، ولما اشتاق لجنة ربه، ولكن الله تعالى يريد من عبده أن يتوجه إليه، فإذا ما ابتلاه فإنه يخلص الطاعة لله هذا هو موقف المؤمن.

ابتلاء الخير وابتلاء الشر وموقف الإنسان منهما

أيها الأحياء: هذه قصة جاءت في حديثٍ متفق عليه تبين كل هذه الحقائق التي قلناها من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الموجز الكبير فاسمعوا:

{ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: إِنَّ تَلَاثَةَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ: الْأَبْرَصَ وَالْأَقْرَعَ وَالْأَعْمَى، بَدَأَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَنْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فَأَتَى الْأَبْرَصَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْ نُحْسِنُ، وَجِلْدُ حَسَنٍ، قَدْ قَدِرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ، فَأَعْطِي لَوْثًا حَسَنًا، وَجِلْدًا حَسَنًا، فَقَالَ: أَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْإِبِلُ، أَوْ قَالَ: التَّقَرُّ، هُوَ سَنَكُ فِي ذَلِكَ: إِنَّ الْأَبْرَصَ، وَالْأَقْرَعَ، قَالَ: أَخَذَهُمَا الْإِبِلُ، وَقَالَ الْآخَرُ: التَّقَرُّ، فَأَعْطِي تَأَقَّةَ عُنُسَاءَ، فَقَالَ: يُبَارِكُ لَكَ فِيهَا وَأَتَى الْأَقْرَعَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: سَعْرُ حَسَنٍ، وَبَدَّهْتُ عَنِّي هَذَا، قَدْ قَدِرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ وَأَعْطِي سَعْرًا حَسَنًا، قَالَ: أَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: التَّقَرُّ، قَالَ: فَأَعْطَاهُ بَقْرَةً حَامِلًا، وَقَالَ: يُبَارِكُ لَكَ فِيهَا، وَأَتَى الْأَعْمَى فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: يَرُدُّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصْرِي، فَأُبْصِرُ بِهِ النَّاسَ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصْرَهُ، قَالَ: أَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْعَتَمُ: فَأَعْطَاهُ سَاهًا وَالِدًا، فَأُنْبِجَ هَذَانِ وَوَلَدَ هَذَا، فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنْ إِبِلٍ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ بَقَرٍ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ عَتَمٍ، ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ رَجُلٌ مَسْكِينٌ، تَقَطَّعَتْ بِي الْجِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بَكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ، وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ، وَالْمَالَ، بَعِيرًا أَتَبَلُّغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي، فَقَالَ لَهُ: إِنَّ الْخُفُوقَ كَثِيرَةٌ، فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ تَقْدَرُكَ النَّاسُ، فَبَعِيرًا فَأَعْطَاكَ اللَّهُ؟ فَقَالَ: لَقَدْ وَرِثْتُ لِكَابِرٍ عَنِ كَابِرٍ، فَقَالَ: إِنْ كُنْتُ كَادِبًا فَصَبِّرْكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتُ، وَأَتَى الْأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ لَهُ: مِثْلُ مَا قَالَ لِهَذَا، فَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَيْهِ هَذَا، فَقَالَ: إِنْ كُنْتُ كَادِبًا فَصَبِّرْكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتُ، وَأَتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مَسْكِينٌ وَابْنٌ سَبِيلٍ وَتَقَطَّعَتْ بِي الْجِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بَكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصْرَكَ سَاهًا أَتَبَلُّغُ بِهَا فِي سَفَرِي، فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ بَصْرِي، وَفَبَعِيرًا فَقَدْ أَعْتَانِي، فَخُدُّ مَا نَبِئْتُ، قَوْلَ اللَّهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَحَدْتُهُ لِي، فَقَالَ أَمْسِكْ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتَلَيْتُمْ، فَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ، وَسَخِطَ عَلَيَّ صَاحِبَيْكَ }

(صحيح البخاري)

إِثْلَاةً فِي بَيْتِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ: مَرَضٌ جَلْدِي، وَأَقْرَعٌ: بِلَا شَعْرٍ، وَأَعْمَى: أَخَذَ اللَّهُ بَصْرَهُ، أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّبِلِيَهُمْ، فَتَبَعَتْ إِيَّاهُمْ مَلَكًا، فَأَتَى الْأَبْرَصَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ مَاذَا تَرِيدُ؟ أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْ لَوْ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، فَذُقْ بَصْرِي النَّاسُ، فَصَسَخَهُ فَذَهَبَتْ عَنْهُ بَازِنُ اللَّهِ، انْتَهَى الْمَرَضُ بِلِحْطَةِ، كُنْ فَيَكُونُ، لَمْ يَكْتَفِ بِذَلِكَ، قَالَ: أَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْإِبِلُ، فَأَعْطَيْتَنِي تَاقَةً عَشْرَاءَ، بِعَيْنِي الْجَاهِزَةَ لِلوَلَادَةِ، فَأَعْطَيْتَنِي تَاقَةً عَشْرَاءَ، فِي الْعَاشِرِ، فَقَالَ: يُبَارِكُ لَكَ فِيهَا وَدَعَا لَهُ بِالْبِرْكَ، ثُمَّ إِنَّهُ جَاءَ الْأَقْرَعُ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: سَعْرٌ حَسَنٌ، وَفَمَسَخَهُ فَذَهَبَ وَأَعْطَيْتَنِي سَعْرًا حَسَنًا، قَالَ: أَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْبَقْرُ، فَأَعْطَاهُ بَقْرَةً حَامِلًا، وَقَالَ لَهُ: يُبَارِكُ لَكَ فِيهَا، وَأَتَى الْأَعْمَى فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: تَصْرًا أَبْصُرُ بِهِ النَّاسُ، فَصَسَخَهُ فَأَعْطَانِي بَصْرًا يَبْصُرُ بِهِ النَّاسُ، قَالَ: أَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْقَتْمُ، فَأَعْطَاهُ شَاةً وَالِدًا، يَقُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَاتَّجَّ هَذَا، أَيُّ الْإِبِلِ وَالْبَقْرِ، أَنْتَاجُ، وَوَلَدٌ هَذَا، فَاتَّجَّ هَذَا وَوَلَدٌ هَذَا، فَكَانَ لِهَذَا وَإِدٍ مِنْ إِبِلٍ، وَلِهَذَا وَإِدٍ مِنْ بَقَرٍ، وَلِهَذَا وَإِدٍ مِنْ عَتَمٍ، كَثُرَتْ الْأَمْوَالُ وَفَاضَتْ مَعَ الصَّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ، انْتَقَلَ الْإِبْتِلَاءُ مِنْ ابْتِلَاءِ الْمَرَضِ وَالْفَقْرِ إِلَى نَوْعٍ آخَرَ وَهُوَ ابْتِلَاءُ الصَّحَّةِ وَالْمَالِ، ثُمَّ إِنَّهُ، أَيُّ بَعْدَ فِتْرَةٍ مِنَ الزَّمَنِ، أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، بِعَيْنِي جَاءَهُ عَلَى شَكْلِ رَجُلٍ أَبْوَصٍ، الْآنَ هُوَ كَانَ أَبْرَصَ الْآنَ جَاءَهُ رَجُلٌ أَبْرَصٌ فَفِيهِ، فَقَالَ رَجُلٌ مَسْكِينٌ، تَقَطَّعَتْ بِي السَّبِيلَ لَا تَبْلَغُ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بَكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ جِلْدًا حَسَنًا، يَذْكُرُهُ بِالنَّعْمِ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ جِلْدًا حَسَنًا، تَبْعِيرًا أَتْبَلُغُ بِهِ فِي سَفَرِي، هَذَا أَصْبَحَ عِنْدَهُ وَادِي، فَقَالَ لَهُ: الْخُفُوقُ كَثِيرَةٌ، بِعَيْنِي يُعْرِفُ السُّوقَ الْيَوْمَ السُّوقَ وَقَافَ وَالذُّيُونَ كَثِيرَةٌ، قَالَ لَهُ: الْخُفُوقُ كَثِيرَةٌ، فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ فَأَعْطَاكَ اللَّهُ جِلْدًا حَسَنًا، فَبَيْعًا فَاغْنَاكَ اللَّهُ؟ هُنَا الْمَصِيبَةُ وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ، فَقَالَ: لَقَدْ وَرِثْتُ لِكَابِرٍ عَنْ كَابِرٍ، هَذَا مِنْ جَهْدِي هَذَا مِنْ عِرْقِ جَبِينِي، هَذَا مِمَّا خَلْفَهُ لِي أَبِي، هَذَا لَيْسَ لِأَخِي مِنْهُ فِيهِ عَلَيَّ، إِنَّمَا وَرِثْتُهُ لِكَابِرٍ عَنْ كَابِرٍ، وَهَذَا هُوَ الْكَبِيرُ وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ، فَقَالَ لَهُ: إِنْ كُنْتُ كَادِبًا فِيمَا تَقُولُ فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتُ، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى الْأَقْرَعِ، فَقَالَ رَجُلٌ مَسْكِينٌ، تَقَطَّعَتْ بِي السَّبِيلَ لَا تَبْلَغُ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بَكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ هَذَا الشَّعْرَ الْحَسَنَ تَبْعِيرًا أَتْبَلُغُ بِهِ فِي سَفَرِي، هَذَا أَصْبَحَ عِنْدَهُ وَادِي، فَقَالَ لَهُ: الْخُفُوقُ كَثِيرَةٌ، قَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَفْرَعُ فَأَعْطَاكَ اللَّهُ شَعْرًا حَسَنًا، فَبَيْعًا فَاغْنَاكَ اللَّهُ؟ قَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُهُ لِكَابِرٍ عَنْ كَابِرٍ، هَذَا مِنْ جَهْدِي هَذَا مِنْ عِرْقِ جَبِينِي، هَذَا مِمَّا خَلْفَهُ لِي أَبِي، هَذَا لَيْسَ لِأَخِي مِنْهُ فِيهِ عَلَيَّ، إِنَّمَا وَرِثْتُهُ لِكَابِرٍ عَنْ كَابِرٍ، وَهَذَا هُوَ الْكَبِيرُ وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ، فَقَالَ لَهُ: إِنْ كُنْتُ كَادِبًا فِيمَا تَقُولُ فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى الْأَعْمَى الَّذِي كَانَ كَيْفَ الْبَصْرِ، قَالَ لَهُ: رَجُلٌ مَسْكِينٌ تَقَطَّعَتْ بِي السَّبِيلَ لَا تَبْلَغُ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بَكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ بَصْرًا يَبْصُرُ بِهِ النَّاسُ، شَاةً أَتْبَلُغُ بِهَا فِي سَفَرِي، فَقَالَ لَهُ: وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصْرِي، وَلَقَدْ كُنْتُ فَقِيرًا فَاعْتَنَانِي اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، فَخَذْتُ مَا شِئْتُ، فَوَاللَّهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتُهُ لِي مِنْ عَزْ وَجَلٍّ، لَنْ أَمْنَعُكَ شَيْئًا، لَيْسَتْ شَاةً وَاحِدَةً خَذْتُهَا مَا شِئْتُ، فَقَالَ الْمَلِكُ: أَفْسِيحُ عَلَيْكَ مَالِكٌ، لَا أَرِيدُ مِنْهُ شَيْءً، فَإِنَّمَا قَدْ إِثْلَاكَمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْتَ وَصَاحِبِيكَ، فَرَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ، وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبِيكَ).



ابتلاء الخير وابتلاء الشر

هذه القصة أيها الأخوة توضح كل الكلام الذي قلناه بعبارة النبي صلى الله عليه وسلم وبهذه القصة النموذجية للابتلاء وهو ابتلاء الخير وابتلاء الشر وكيف يقف الإنسان هنا وكيف يقف هناك، وضاق الوقت عن غيرها ودرسها وما أكثرها. حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزئبوا أعمالكم قبل أن توزر عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا وسيتخطى غيرنا إلينا، فلتتخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى، استغفروا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، اللهم صلِّ على مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَتَبَارَكَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا تَبَارَكَتْ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.



الإسلام دعوة إلى التغيير وفق ضوابط شرعية

أيها الأحباب! فقط ملاحظتان: الأولى: بهم بعض خطباء المنابر بأن الحديث عندما يكون عن الفقر وعن الرضا وعن الابتلاء أنهم يُحذرون الناس ويمنعونهم من المطالبة بحقوقهم، لا والله هذه حقائق دينية وليس لها علاقة أبداً بأبني عندما أقول لك هذا ابتلاء أنني أدعوك إلى أن تفتقر، أو أدعوك إلى أن تترك العمل، أو أدعوك إلى أن تترك محاربة الفساد، هذا ليس من الشرع في شيء، لكن الخطبة اليوم هذا موضوعها، أتحدث عن ابتلاء من أجل أن تعامل معه بشكل صحيح ولكن ليس فيها أي دعوة للرضا بالواقع، بل الإسلام كله دعوة إلى التغيير ولكن وفق الأسس والضوابط الشرعية المطلوبة.

الملاحظة الثانية أتلى صدري وأنا أدخل المسجد تلك السيارة الكبيرة التي بدأت تجمع تبرعاتكم السخية لإخوانكم الضعفاء والفقراء فأشكر من أعماق قلبي الأخوة القائمين على هذه الحملة وأنا أريد أن أساهم ولو بكلمة طيبة فأقول:

فهذه الحملة مستمرة إلى الثامنة مساءً وجمع التبرعات مستمر في هذا المحراب وفي الخلف تبرعاتكم جميعاً تغلق الساعة الثامنة وتذهب إلى الفقراء والمحتاجين بالتعاون مع الجمعيات الخيرية وإدارة هذا المسجد المبارك فجزاكم الله خيراً.

الدعاء

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، إنك يا مولانا سميع قريب مجيبٌ للدعوات، اللهم برحمتك عُمَّنَا، واكفنا اللهم شر ما أهمنا وأغمنا، وعلى الإيمان الكامل والكتاب والسنة توفنا، نلقاك وأنت راضٍ عنا، اللهم بفضلك ورحمتك أعل كلمة الحق والدين، وانصر الإسلام وأعز المسلمين، اللهم انصر من نصر الدين واخذل من خذل الدين، اللهم ابرم لهذه الأمة أمر رشيد يعز فيه أهل طاعتك ويهدى فيه أهل عصيانك ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر اللهم حرر المسجد الأقصى من أيدي الغاصبين وانصر إخواننا المرابطين في المسجد الأقصى على أعدائهم وأعدائهم يا رب العالمين، اللهم فرج عن المستضعفين في مشارق الأرض ومغاربها، وأنزل عليهم من الصبر أضعاف ما نزل بهم من البلاء، اجعل اللهم هذا البلد آمناً سخيّاً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين، وفق اللهم ملك البلاد لما فيه خير البلاد والعباد، أقم الصلاة وقوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله.

نور الدين الاسلامي